مهداة الى محمود تيمور

... الى الوراء

كنت أحسب أني فرغت من تقرير مسألة رواية « أهل الكهف » لصنعها صديقنا الاستاذ توفيق الحكيم حين قلت ، بعيد ظهورها ، انها مأخوذة من كتاب اسمه « الالتفات الى الوراء » لمؤلفه ادوارد بيلامي طبعة « توخنتز »

Looking Backward, (١) by Edward Bellamy. Collection of British Authors Tauschnitz Edition, vol, 2690, 1887 — 1890.

وما كان يخطر لي ببال انك ستقف مني ، بعد سنوات عدة ، لتقول لي انك غير مقتنع بعد ، من صحة ما ذهبت اليه في أمر هذه القصة ، وحجتك في عدم الاقتناع ، انك لم تجد الكتاب الانجليزي في مكاتب القاهرة ! !

أما ان الكتاب موجود او غير موجود في مكاتبنا فهذا امر لا يعنيني ، لأن الناقد ليس مكلفاً باقتناء عشرات من نسخ كل كتاب ينقده أو يستند اليه في نقده يقدمها لكل أديب يطيب له الاطلاع عليها ليتأكد من صدق دعواه ، بل هو مكلف باقامة الدليل . والذي يهمني قبل كل شيء هو معرفة انتشار روح الجد في العمل عند الأدباء ، وميزان الصدق عندهم في التحري والتنقيب توصلاً الى الحقيقة .

تعلم يا صديقي أن السرقات الأدبية ، وان تنوعت أوصافها ، تختلف باختلاف أمزجة السارقين ، ولعل أفضح السرقات الأدبية تلك التي ينتزعها الأديب من أماكن يتوهم انها مجهولة ومظان منسية ، فيقدمها على اعتبار أنها من طهي دماغه وعصارة تفكيره ، واليك الآن أدلة مقتطفة من الكتابين للمقارنة بين ما هو وارد في كتاب « الالتفات الى الوراء » وبين رواية « اهل الكهف » .

أفعل ذلك وأنا افرض بحسن نية ، انك قرأت رواية « اهل الكهف » وهكذا يحسن اطلاعك على ملخص وجيز لرواية « الالتفات الى الوراء » لتقبض على طرفي الحبل ، كما يقال ، ولا اقول لسماع كلام المحسنين لأن صديقنا الاستاذ توفيق الحكيم سكت سكوتاً طويلاً على التهمة التي ألصقتها به ولم يدفعها عنه ، ولكنه قال لي مرة انه لم يقرأ كتاب « الالتفات الى الوراء » ؟!

(١) طبع في امريكا حديثاً باسم Modern Library No 22

شاب من الأثرياء مصاب بالأرق ينوّم كل ليلة تنويماً مغنطيسيًّا على طريقة البيمارزم، أحبّ فتاة واتفق معها على البناء بها، وقبيل حفلة الزواج اشتعلت النار في المنزل الذي كان يسكنه، فأكلت كل شيء فيه ولكنها لم تصل « الى البدروم » الذي اتخذه هذا الشاب مأوًى له لبعده عن الجلبة والضوضاء، وقد ظنّ أن الرجل مات احتراقاً.

تُترك البيت المحترق المنهدّم مدة مئة عام أو أزيد، ثم صحت عزيمة جيل من الورثة على اعادة بناء هذا البيت، وعند ما فتح « البدروم » وُجد فيه جثمان ذلك الشاب مسجى في سريره وفي جانبه اوراق تدل تواريخها على انصرام مئة عام وأزيد، وان الشاب انما هو نائم نوماً مغنطيسيًّا. هنا تبتدئ حوادث الرواية وتنجلي مواقفها بالمقارنة.

(١) بطل قصة الالتفات الى الوراء ينام مئة عام وأزيد نوماً مغنطيسيًّا ويستيقظ استيقاظاً علميًّا.

وأبطال « أهل الكهف » ينامون ثلاثمائة عام ويستيقظون بدل ربهم.

(٢) بطلة الالتفات الى الوراء فتاة غنية أحبها فتى فقير عز عليه ان يراها إلا ان كارثة الحريق التي نزلت ببيته جعلتها تعتقد انه مات فحزنت عليه وارتدت ثياب الحداد مدة أربع عشرة سنة وبعدها تزوجت.

وبطلة أهل الكهف أميرة اعتنقت النصرانية حبًّا بشاب نصراني يعمل في ديوان أبيها الملك الوثني، فلما لجأ الشاب الى الكهف هرباً من فتنة اشترك فيها تلقاء والدها وانقطعت أخباره عن الأميرة، ارتدت السموح حزناً عليه.

(٣) في رواية أهل الكهف يذهب « يمليخا » بعد يقظته الى أسواق طرسوس ثم يعود فيقصر على صاحبه ما رأى « قلت لكما لا تسألاني اليوم شيئاً، انقد عرفتما أنتما أجنبيان غريبين عني. أنتما البقية الباقية بعد ان مضى كل شيء كالحلم، آه لو رأيتماني وقد أحاط بي الناس في ثياب غريبة مختلفة على وجوههم ملامح غريبة » وقال أيضاً « وان كنتما لا تحسّان بعد بالهرم، فاني بدأت أحس بوقر ثلاثمائة عام ترزح تحتها نفسي »

يدخل بطل الالتفات إلى الوراء من البيت. فيذهب الى المدينة، يتنقل من شارع إلى شارع، فيجد انقلاباً عظيماً في الأشخاص والأشياء وفي طبائعها أيضاً فيعود إلى البيت وهو على حال من الاضطراب والتمّ، يقلّبه الواقع بين كفّي العقل والخيل، القناعة والشدة، اليقظة والحلم، وتعاوده آلام السنين الثلاثة والأربع عشرة التي نامها فباعدت بينه وبين الجيل الحاضر: يحسّ انه مخلوق كباقي الناس غير انه يختلف عنهم بازدواج الشخصية ازدواجاً متناقضاً، ويدرك انه يحمل ثقل قرن كامل

البنسيلين واحتقان الزور

أثبت طبيبان انجليزيان هما دكتور الكسندر . ب . مكدريجور ودكتور دافيد . ا . لونج في مقال نشرته الصحيفة الطبية البريطانية ان اعطاء المرضى الذين يشكون احتقان الزور والتهاب الوزتين وغيرها من الاصابات الميكروبية التي تصيب الحلق وما يجاوره ، أقراصاً مصنوعة من مادة البنسيلين تمتص في الفم أشبه بالاقراص التي تمتص في حالات السعال ، علاج ناجع لهذه الحالات

فان الالم والحمى وجراثيم المرض قد زالت في أربعة وعشرين ساعة في بعض الحالات. وأجريت تجاريب في ٣٥ مريضاً عولجوا بالبنسيلين فزالت عنهم أعراض المرض في ٢٤ ساعة والتأمت بثور الحلق في خمسة أيام وكانوا يشكون تشقق الفم والحلق . كذلك كل الظاهر الدالة على وجود جراثيم مرضية . ولم يظهر على الذين عولجوا أي عرض يدل على احتمال عودة المرض، والمعروف أن حبوب اللثة ، حتى بعد شفائها بالعلاج العادي ، قد تعود بعد زمن الى الظهور، وان اللثة بعد الشفاء تكون عرضة للاصابة بسهولة.

وفي حالات أخرى حصل المعالجون على نتائج مرضية جداً بعد ٢٤ ساعة في حالات الاحتقان الوزي المسبب عن الميكروب السبحي Streptococcus ، خفت الاصابة وزالت الحمى . وشخص بالغ استطاع أن يأكل غذاء جاداً بعد ٢٤ ساعة من علاجه بالبنسيلين ، وكان مصاباً اصابة حادة بالحمى القرمزية

أعتقد أحياناً ان روح جدتي يستقر فيّ . وهل تستغرب أن يكون لي هذا الشعور ، وأن تكون حياتي قد تأثرت بها وبك أنت دون أن أدراها وقبل أن أراك » .

ألا يكفيك يا صديقي العزيز ان أنقل اليك هذه المواقف التي تقلبا صديقنا العزيز توفيق الى روايته عن تلك القصة الرائعة ؟

في النصرانية حكاية عن أحد حواري المسيح يدعى توما ، وهذا قال لزملائه « اذا كنت لا أرى أثر الحربة في جنب المسيح وأضع أصبعي في أمكنة المسامير في يديه ورجليه، فلن أؤمن بقيامته من الاموات » ويقال ان المسيح ظهر لتوما وقال له « طوبى لمن لم يرني وآمن بي »

حبيب الزحلاوي